

فوائد لغوية

Notes Lexicographiques.

الشيخ عبدالله البستاني واقفا

Le Bustân devant la critique.

خذ بيدك اي ديوان لغة شئت من دواوين لغتنا الشريفة وتصفحه حق التصحح تتحقق ان فيه بعض المغاير . هذا كتاب « العين » الذي له السبق على سائر المصنفات التي من ضربها لا يخلو من معاييب : وقد تبه عليها اللغويون الذي جاؤوا بعده . ان به حياته وإن بعد وفاته . وكذا قل عن كتاب الجمهرة لابن دريد والتعذيب للآزهرى والصالح الجوهري ، والمحكم لابن سيده ، والمجمل والمقاييس وكلاهما لابن فارس . والمحيط لابن عباد ، الى غيرها من معاجم اللغة ، فلقد جاء بعدهم من اخذ عليهم بعض أمور لم يصيبوا فيها وكان النفوس صميحا به اغلب الاحيان ان لم يكن في جميع المواطن .

على ان تشويه اللغة الشنيع لم يبدأ إلا لما اخذ المستشرقون في تصنيف المعاجم واستدراك عالم يجدوه به كتب متون اللغة . بل وجدوه في تصانيف المولدين وارادوا ابداعه مؤلفاتهم . فكانوا كعاطب ليل . احسنوا به امور واساؤوا في اخرى . وبين هؤلاء المتبرين : غليوس وفرتغ .

كان غليوس اول من عني بتدوين المستتركات لكنه لم يحسن واقفا حق الوقوف على أسرار العربية ومطالعة كتب الخط . فقرأ الفاظا على ما صورها وفسرها على ما شاء فجاء بعده فرتغ فكان أوقف منه على مساقط الكلم فاصلح شيئا من اوام سلفه . بيد انه حاول ان يدون حروفا عثر عليها به مطالعته فاختلأ الحفرة هو ايضا به تعابير كثيرة وقرطس به اغراض لا بأس بها .

ثم جاء غيرهما من أبناء الغرب . فكانوا كأخويهم بين مصيبين وخطئين . وعلى كل حال تمنوهم لانهم اجانب عن منطقتنا ومصطلحاتنا ولساننا وكتابتنا وتسبح معهم كل التسبح مهما تجادوا في الضلال .



لكن فساد مفردات اللغة لم يبدأ إلا لما شرع المعلم بطرس البستاني في تصنيف ديوانه الكبير محيط المحيط، فعين ذلك الأوهام والأغلاط كالسيل المنهر من عل، جاحفا في سيرة أصول العربية وفروعها، فشوه كل ما ربه غير محترم أقوال المصنفين، ولا جرم أنه لم يعتمد ذلك، حاشا لله أن أقول ذلك، إنما أنا أنظر إلى العاقبة واحكم على ما أشاهده، فإنه أضرب بلغتنا أكثر مما نفعها، وهذا معجمنا بأيدينا، لو وزنت ما فيه من المساوئ والمعايب والمغائر والأوهام والهنات، وتجمعت تجسم المحسوسات، لقام في وجهك كالجيلب التي لا تترزع ولا تزال.

وذنب المؤلف أنه نقل كتابه عن معجم فريغ وهو في اللغتين العربية واللاتينية، والظاهر أنه كان يشكو اللاتينية ولا يعرف منها إلا الذرة نفيط وخط، وجاءنا بذلك النتائج الجامع بين الحسنات والسبئات على أغرب وجه وأعجب، ولما كان هذا المعجم سهل التناول أقبل على شرائه ومطالعته أبناء العصر ولا سيما المؤلفون منهم المصنفون والصحفيون فكانت عثراتهم لا تقال، وأصبحت أوهمهم داء عضالا، ثم جاءت بعدة مصنفات الأبناء اليسوعيين من معاجم عربية فرنسية وفرنسية عربية، وعددا وراء الكل الشيخ سعيد الشرتوني والجميع يأتمون بالمعلم بطرس البستاني، وقد أصبح لهم ولكل من جاء بعده الدليل الوحيد فأصبحت الأغلاط من الشائعات غير الزائلات وهكذا اخفت اللغة تسير في وجه غير وجهها فتفسد شيئا بعشي، وتتحكم تلك الأغلاط في النفوس والأقلام وليس من يقوم وينبه على تلك الفظائع الشنيعة.

كننا نفكر في معالجة هذا الداء الويل وتنطلب وسيلة لصد السيل الجحاف أو لايقافه عند حده، إذ قيل لنا أن الشيخ عبد الله البستاني يهتف معجما يكون جامعا للحسنات ومزيلًا للسيئات ودواء للأدواء، فاستبشرنا خيرا وكننا على أحر من الجمر لرؤية تلك الذرة النفيسة، فاصدين نشر مسناتها وأذاعتها على رؤوس الملائكة، لكن ما كاد يصل إلى أيدينا المعجم وتصفح صفحات منه حتى انقلبنا آسفين على ما برز من قلم الأستاذ الكبير، فإنه لم يكتب بشونين أغلاط من تقدمه من المحدثين، ولا سيما أغلاط المعلم بطرس البستاني والشيخ سعيد الشرتوني —

و « بستانم » ليس إلا نسخة جامعة بين هذين المعجمين لا غير - بل زاد على ذلك مضغنا على ابالة ، فجاءنا بأغلاط لم تخطر على بال بشر . ولم تجل في خاطر عربي البتة .

وذكر هذا الأغلاط أمر صعب اذ يحتاج الكاتب الى وضع تصنيف بغير تصنيفه ليعلم تلك الأوهام ويثبتها بشواهد وليظهر فسادها أو ليزيفها . على ان ما لا يدرك كلما لا يترك جامدا . ونريد بهذا الجمل اشارات الى انواع ما هناك من المفاهيم الخاصة بهذا المعجم الغريب .

ولكي لا يتهمنا ادب بالفسالة او بالتحزب على شيئا الوفور ، نأخذ صفحة من صفحات كتابه ونعرضها على القراء .

١- قال حضرته في ص ١٠٨٧ من كتابه : « السرق : مصدر و - شق من الحرير الأبيض معرب سرا بالفارسية اي جيد الواحدة سرقة . »

قلنا : هذه العبارة عبارة محيط المحيط للبستاني وعبارة جميع اللغويين الاقدمين لكن اللغوي الناقذ اذا وقف على هذه العبارة ومثلها بعدها خرافة اذ كيف يكون معنى سرا بالفارسية جيدا . ويكون في العربية شققا من الحرير الأبيض ؟ - هذا امر لا يقبله العقل . ان السرق اعجمية بمعنى الحرير ، لكنها ليست فارسية بل لاتينية اي Sericum

٢- وقال : « السرق كصرد : ضرب من النبات »

وقد بحثنا عن هذا الحرف في مالدينا من الكتب النباتية واللغوية من مطبوعة ومخطوطة . فلم نجد ذكرا لهذا النبات عند السلف ، انما وجدنا الكلمة في محيط المحيط وهذا نقلها عن فريتغ ولم يمزها . وفريتغ نقلها عن فورسكال في كتابه ازاهير مصر وجزيرة العرب . فأتضح ان الكلمة عامية . وهذا ما يجب ان يشار اليه كما فعل الاقدمون وكان يجب ايضا ان يذكر نوع هذا النبات حتى لا يكثر في دواويننا مثل هذا القول الذي اعيا الكبار والصغار : ضرب من النبات من غير ان يحلوه . وهو امر كان كليا في المصور الاول ، اما الان فلا يكفينا

٣- وترى في تلك الصفحة قوله: «السرقين والسرقين» وضبط الأول بالكسر والثانية بالفتح [الزبل كالسرجين] ... [وضبط زاي الزبل ضبط قلم بالضم].

والصواب ضبط زاي الزبل بالكسر وهو مشهور

٤- وفي تلك الصفحة: «السركار» وضبطها بكسر السين [ديوان الوالي فارسية].

وهي عبارة محيط المحيط وقد نقلها عن فريتغ . وفريتغ لم يضبط اللفظة ولم يقل ديوان الوالي بل قصر الأمير *Aula principis* وهي لم ترد إلا في كلام المولدين المتأخرين من الكتبة ولم ترد في كلام نصيح . ففي قوله اذن غلطان : غلط ضبط وغلط معنى .

٥- وفيها : «سرمه تسريما : قطعه . تسرم : تقطع مطاوع سرمه .» ولو زاد على ذلك : وكتباهما لغة في سرم وتصرم لاهتدى الباحث الى اللغة المشبوهة .

٦- ومن الفاظه الخاصة بمجمعه قوله في تلك الصفحة : « (ذوات السرم) من الحيوان ما كان له مسلك واحد للنسل والثقل كالطير .» قوله : « ذوات السرم » لا يقابل ما يريد به . ثم ان هذا التعبير حديث الوضع لا يعترفه الاقدمون ولم يشر الى حدائث وضعه . وهو قصور ياد لكل ذي عين . والذي وضعه الافرننج في هذا المعنى هو *Monotremes* ولا يطلق على الطير بل على طائفة من الحيوانات ذوات الثدي إلا انها وسط بينها وبين الطير . فقد اخطأ في التسمية واطعأ في الشرح واطعأ في التمثيل ثم ولو قاله الوحيد المسلك « لكان احسن واعف لفظا .

٧- وفي ذلك الوجه يقول ايضا : سرم الديك نوع من الثبات . قلنا : العبارة عبارة محيط المحيط وهي من سوء النقل عن فريتغ . والصواب ان يقال : هو ثمرة الورد ويكون احمر وهو من كلام عوام اهل الشام وفصيحه الديك . راجع ما قاله شرحا لهذه اللفظة فقد قال عنها : تمر (كذا : غلطين والصواب تمر) الورد يحمر حتى يكون كالبشر فينضج فيملو فيؤكل كأنه

وطب . الا . اذن سرم الديك ليس نباتا بل ثمر نبات .

٨ - وفي الوجه المذكور يقول : « السرمان بالكسر » والضم لغة . يقال هو العظيم من اليعاسيب و - دوية كالجلجل .

قلنا : النبي في اللسان : « السرمان : العظيم من اليعاسيب والضم لغة . والسرمان [وضبطها بالكسر] دوية كالجلجل وضبطها بالقلم وزان سبب وقد اعاد صاحب التاج هذه الكلم ولم ينسبها الى ابن مكرم . قلنا : وفي كل ذلك عدة او هام فالسرمان بالكسر والضم لغة هو العظيم من اليعاسيب وهو دوية كالجلجل بتقديم الجيم المفتوحة على الحاء الساكنة ومناهييل ماباء في التهذيب : [دوية] في خلق الجراد اذا سقط لم يضم جناحيه . فهذا هو الحق لا ما مسحه نساخ كتب اللغة ففدا الكلام طلسمًا من الطلسمات .

٩ - وفي تلك الصفحة ما هذا نصه : « السرموجة بالضم : حذاء . يستر مقدم القدم وعقبها ويبلغ الى الكعنين ج سراج » .

قلنا في هذه العبارة ثلاث غلطات : غلط ضبط و غلط تأويل و غلط صرف .
 بن هناك غلط رابع وهو ان الكلمة ليست فصيحة بل مولدة واذا اردت غلطا آخر فانك غير مبالي وذلك ان سرموجة فارسية الاصل وهو لم يشر الى عجمة اصلها بكلمة . - اما غلط الضبط فهو ان الكتب التي ذكرت اللفظة هي كتب المولدين وحدهم وهم ضبطوها بفتح السين لانها هي كذلك في الفارسية .
 واما لانت فعلولا او فعلولة لم يرد مفتوح الاول فهو حديث خرافة قال به الصرفيون وبعض اللغويين . اما الحق فانه وارد في لغتنا من ذلك صنفون وصندوق 'وكرموس' (التاج) وسحنون (على رواية) . وقرقوف . وطرخون . وبرشوم . ال غيرها . وفتح اول سرموج او سرموجة ذكره البستاني في محيط محيط اذ يقول : السرموج [وضبطها ضبط قلم بالفتح] نوع من الاحذية والسرموجة اخص منه وتعرف عند العامة بالسرماية واكثرهم يقولوا بالصاد . الا . وقال صاحب اقرب الموارد في ذيله : السرموج [وضبطها ايضا ضبط قلم بالفتح] نوع من الاحذية والسرموجة اخص منها . وخيل (نقله فريتخ من الف ليلة وليلة) .
 الا . فاذن وجد حضرتنا ان السرموجة يضم الاول ؟ - فانه لم يقل ما قل الا

لكي يوافق على قول الفويين : العرب لا تعرف وزن قملول المفتوح العين مع ان هذا التقييد غير صحيح كما ذكرناه .

ومن غريب ما نقله في تعريف السرموج انه قال : « هذا يستمر مقم القدم وعقبا ويبلغ الى الكمين » . الا . والذي ساقنا الى الوهم عبارة نسيبها الذي قال ان السرموجة تعرف عند العامة بالسرماية واكثرهم يقولها بالصاد اي الصرماية وهذا غير صحيح البتة والذي دفع البستاني الاول الى هذا القول انه رأى مشابة بين اول كلمة سرموجة واول سرماية فقال لا بد ان الصا من العصية وهو وهم ظاهر فالصرماية مشتقة من الصرم وهو الجلد الذي تتخذ منه ولا يقول النوام ابدا سرماية بالسين فكلام البستاني الصغير لتعريف السرموج يوافق الصرماية (أو الصرم) عند النوام ولا يوافق البتة السرموج . والصرماية عند الشاميين هي الكوندرة عند الترك وعند العراقيين الحاليين . فابن السرموج من الصرماية .

اما السرموج فهو الخف الواسع الذي يلبس فوق الخف . والكلمة فارسية مركبة من (سر) وهي بمعنى فوق في لسان الفرس و [موزة] اي موق او خف فيكون معنى السرموج « ما يلبس فوق الخف » فأين هذا من ذاك ؟

والاقدمون منا لم يعرفوا السرموج فان هذه من المعربات الحديثة معربات كتاب الف لبلة ولبلة . اما السلف فقد عرفوها باسم الجر موق قال صاحب البستان نفسه عن الجر موق : ما يلبس فوق الخف وقاية له وهو فارسي مررب . الا . فيظهر من كلامه عن السرموج والجر موق انه لم يعرف ان الواحد هو الآخر بعينه . انما الفرق هو ان الجر موق من تعريب الاقديمين والسرموج من تعريب المحدثين او المولدين . وانما فضلوا السرموج على الجر موق موافقة لاصلها الفارسي وهو سرموزة وثانيا خشية اجتماع الجيم والقاف في كلمة واحدة فيكون لها ظاهر الاعجمية فاحبوا ان تكون بنيتها عربية .

واما غلط الصرف الذي اشرنا اليه في صدر الكلام عن السرموج فهو انه جمعها على سرامج وهو لم يسمع عن احد ولا سيما لانه مخالف لاصول لغتنا وصواب جمعها سراميج جملا على القياس لان قملول لا يجمع على فعال بل على فعاليل اللهم إلا في الشعر وذلك عند الضرورة فقط . ونريدك بقينا في ما نقول ان صاحب

المصباح النير ذكر لجمع الجر موق (وهو السرموج عنه) جراميق ولم يقل جراميق البتة .

واللفظ الرابع الذي جاء في كلامه عن السرموج هو ان اللفظ من كلام المولدين او من كلام عوام المصور المتوسطة وليس من حر اللغة والسلف الصالحين دائما على مثل هذا الامر كل مرة اقتضت الحال ، لان حر اللفظ شي . واللفظ الساقط شي . آخر .

اما انها فارسية الاصل ولم يشر الى عجمتها فلقدينا فويق هذا وهو غلطه الخامس وذلك كله في كلمة واحدة

وقال في تلك الصفحة (لاننا الى الان نطالع في ص ١٠٨٧ ولم نخرج عنها اذ هي جنبه من جنبات ذلك « البستان » الزاهي ، والمتنزه قلما يود مفارقتها) : « السرموجي الدائم الذي لا ينقطع وقيل - ما لا آخر له » . الا .

قلنا : ظن المؤلف ان بين الشرحين فرقا في المعنى ففصل بينهما لاعتقاده ان الاول غير الثاني والحال ان كلا الشرحين واحد وما الفرق الا في التعبير لا غير . وفي تلك الصفحة عاد الى ذكر السرموج بصورة السرموزة وضبطها ايضا بضم الاول فقال : « السرموزة لغة في السرموجة » . الا .

نقل ذلك عن محيط المحيط الذي ذكرها بفتح الاول وفريغ لم يضبطها ولم يقل سرموزة بل سرموز (بلا هاء في الآخر) : وقد ذكر انه نقلها عن يعقوب شلت الاثاني . - اذن لم تنقل عن عربي فصيح وعلى كل حال لم ينسب صديقتنا المحبوب على هذا الامر .

وجاء في تلك الصفحة ايضا : السرمق نبات الفطاف مغرب .

قلنا : صواب الفطاف بالقاء : القطف بالقاف والسرمق من الفارسية سمره وهو القطف اي الاسبانخ الروسي .

ومما ورد في تلك الصفحة قوله : « السرنج (وضبطها كجعفر) نوع من صناعة النقش كالفسيفساء » .

والصواب ان تضبط السرنج كسمند اي بفصحين فسكون . وختم تلك المادّة من د ن ج وتلك الصفحة بقوله : وسرنج كجعفر دويّة اي مغارة واسمة بعيدة

الأرجاء . الا .

قلنا : سرنج لم ترد في كتاب عربي بالمعنى الذي يشير اليه انما وجدها في ذيل اقرب الموارد بهذا التصحيح فنقلها عنه وصاحب الذيل يزعم انه نقلها عن اللسان وهي لا توجد فيه في المادة التي يشير اليها بل ترى في مادة سربج قال في تاج العروس : سريج بالباء الموحدة بعد الراء في اللسان في حديث جهيش : وكأين قطعنا اليك من دوية سريج اي مفازة واسعة الأرجاء . الا . فالت ترى من هذا ان كلام من اللسان والتاج ذكر سريج ولم يذكر « سرنج » فكيف نسبها الى اللسان وهي ليست فيه ؟ — الجواب ان الشرتوني نقلها عن التاج الذي يمزوها الى اللسان . والتاج ذكرها في مستدرک مادة س ر ن ج فظن ان سريج من خطأ المؤلف او الطبع فوقع في تلك الهاوية ، مع ان السيد مرتضى ذكر اللفظة في مستدرک المادة لا في المادة نفسها . فتأمل .

على اننا نقول ان السريج غير صحيحة والصواب السرخ ياء موحدة تعنية وخاء معجمة في الآخر . وهذه ذكرها جميع اللغويين ومن ذكرها ابن الاثير في نهايته وهو حجة ثقة في ايراد الاجاديت وغريب الفاظها وهو اقدم من ابن معكرم والفيروز ابادي والسيد مرتضى . فاول من صحفها اذن بصورة سرنج هو صاحب اللسان ثم تبعه صاحب التاج . اما السرخ ياء معجمة في الآخر فقد ذكرها جميع اللغويين قاطبة . اذن التصحيح باد ومن عهد اللسان لاغير . قال في النهاية في مادة س ر ب خ : [اي جاء في كتاب ابي موسى] في حديث جهيش : وكأين قطعنا اليك من دوية سرنج اي مفازة واسعة بعيدة الأرجاء . الا . ولم يذكر شيئا في مادة سربج . وجرى في اثر ابن الاثير اللسان والقاموس والتاج بل حضرة الشيخ عبد الله نفسه اذ ذكر هذا الحديث بنصه في مادة سربج وقدم عليه قوله : السرخ كجعفر : الارض الواسعة المضلة التي لا يهتدى فيها لطريق . وفي حديث جهيش ...

الى هنا انتهت بنا مطالعة هذه الصفحة ونحن لاندمي باننا وفيها حق التقدم جميع وجوهه وأتينا على كل ما فيها من السقط فلعل غيرنا يرى فيها ما لم نره وعلى كل حال اننا كتبنا ثمانين صفحات من مجلتنا لاظهار ما في صفحة واحدة

مما نكتبه أو نقرأه فكيف بنا لو انعمنا النظر في المجلد الأول كله وفيه ١٣٨١ من
فتحتاج اذا الى ثمان مائة او ١١٠٤٨ اي نحو اثني عشر ألف صفحة .
فمن ذا الذي يكتبها ومن هذا الذي يطبعها ومن ذاك الذي يطالعها . . .
ذلك ما نتركه للقراء ليحكموا فيه . والله الهادي الى سواء السبيل .

(بهرف ليس اسم سبع)

جاء في تاج العروس في مشترك مادة هـ ر ف ما هذا حرفه نومما يستترك
عليه (اي على المجد القبروزي ابادي صاحب القاموس) : بهرف كيضرب : اسم
سبع سمي به لكثرة صوته هـ . وقد بحثنا في الدواوين التي بايدينا فلم نجد
ذكر لهذا السبع ، انما وجدنا ابن سيده يقول في محصصه (٨ : ٧٥) : ويقال
لبعض السباع هو بهرف بصوته اي يتزايد فيه هـ . ولم نجد اكثر من هذا
القدر . وقد قال صاحب اقرب الموارد في الذيل : « بهرف كيضرب : اسم سبع
سمي به لكثرة صوته (التاج) » هـ . وانت ترى ان العلم ينقل إلانص التاج وكان عليه
ان يحقق الامر بنفسه . فانظر كيف يجب ان تعتمد على ما ينقله المؤلف رحمه الله .
فمسي ان يفيدنا احد الادباء فائدة واقية عن هذا السبع ونشكر له سلفا يدا علينا .
الحريه

قال المعلم بطرس البستاني في محيط محيطه في مادة ح ر ب : الحريه . . .
مرب حريا (وضبطها يضم فسكون فباء مفتوحة فألف مقصورة) بالفارسية .
ومعناه : حافظ الشمس هـ . وقف على هذه العبارة صاحب البستان . فقال . . .
« وهو فارسي الاصل مركب من « حر » اي الشمس ومن « به » (كذا معدودة)
والجمع حرياء اي حافظ الشمس » .

قلنا : وكل هذا الوهم سري من غريقت وعنه اخذ البستاني الاول عبارة .
على ان المستشرق الألماني يقول : ويظن بعضهم ان الحرياء من الفارسية حريا
(بلا مد) ومعناه : حافظ الشمس (لا حافظة الشمس . لان الحرياء مذكر لا
مؤنث ومؤنثها حرياءة أو ام حيين) .

نعم . خور أو خر يعني الشمس . لكن « به » او كما قال الشيخ عبدالله
« به » لا تعني الحافظ او الحافظة : فمن اين اتى بهذا التأويل ؟